فكـرة هـذا الكتـاب

لست أنسى ذلك اليوم الذى دخل علينا فيه أستاذ التفسير وكانت مادة «**غريب القرآن**» إحدى المواد المقررة علينا فى المعاهد الأزهرية فى بداية الأربعينيات .

وقد لمس الأستاذ فينا عدم إلمامنا بمعانى الكلمات فراح يستعين بكل الوسائل لإغرائنا بحفظها والإلمام بها . ولقد أقبل الأستاذ علينا ذات يوم ومعه طالبان :

أحدهما يسأل ، والآخر يجيب .

وملك كلاهما علينا مشاعرنا وأحاسيسنا حتى مضى الوقت المخصص للدرس والكل كأن على رءوسهم الطير .. إعجابا وانبهارا .

ورحنا نتساءل : أنى لهما هذا العلم ، وذلك الفهم ؟ ولا عهد لنا بمثلهما سلامة نطق وحسن أداء ، وقوة حافظة وقدرة على الاستشهاد !!

وأجاب الأستاذ : إنها تلك المحاورة التى دارت فى فناء الكعبة بين ابن عباس ونافع بن الأزرق .

ومن يومها لم يعد الغريب غريبا ، وآن للغريب أن يصير حبيبا قريبا !

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟!﴾

والصلاة والسلام على من نزل القرآن على قلبه ليكون من المنذرين .. وبعد ..

فلقد تحدى القرآن فصحاء العرب بمعارضته ؛ فأعلنوا عجزهم عن تقليده ؛ لأنه يعلو وما يُعلَى ، وما هو بقول البشر .

ولقد كان هذا الإعجاز القرآنى خليقا أن يثير فى الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية يتصدى بها العلماء للكشف عن وجوه البلاغة القرآنية وعن أسلوب القرآن الفَذّ فى التصوير والتعبير .

ومن بين هؤلاء العلماء الإمام السيوطى الذى أفرد جانبا كبيرا من مؤلفاته للدراسات القرآنية ، وعلى رأسها «كتابه الإتقان فى علوم القرآن» فقد جعله مقدمة لما كان قد شرع فى تأليفه ليكون تفسيرا جامعا لجميع ما يُحتاج إليه من التفاسير المنقولة والأقوال المعقولة والاستنباطات والإشارات والأعاريب واللغات ونكت البلاغة ، ومحاسن البديع وغير ذلك بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلا وسماه «مجمع البحرين ومطلع البدرين»[1] .

ومن يتصفح كتاب الإتقان للسيوطى يجد «النوع السادس والثلاثين من علوم القرآن فى معرفة غريبه»

---

(١) الإتقان للسيوطى الجزء الثانى .

ويقول الإمام السيوطى :

«وأوْلى ما يُرجع إليه فى ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة» .

ويتوقف السيوطى فى نهاية هذا الباب لينقل عن ابن الأنبارى كثرة الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر ، وينقل عن أبى عبيد «أن ابن عباس كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر» يعنى كان يستشهد به على التفسير .

ثم يسوق «مسائل نافع بن الأزرق» التى أخرج بعضها ابن الأنبارى والطبرانى .. ثم يقول : «رأيت أن أسوقها هنا بتمامها لتستفاد» وحسنًا ما فعل السيوطى فهذه المحاورة تعتبر كنزا من كنوز القرآن يقف فيه القارىء على معانى ما يقرب من مائتى كلمة فضلا عن جذورها ومشتقاتها .

ولا تسل عن المتعة التى ينعم بها من يتتبع الأسئلة واحداً بعد الآخر ، فيعرض السؤال على نفسه ، ويفكر فيه ، ثم يرجع إلى ترجمان القرآن يستفتيه ...

وربما كان هذا العرض الجميل بما فيه من حيوية الحوار وبراعة الإجابة دافعا لأبنائنا الطلبة وإخوتنا من عشاق اللغة إلى التزود بهذا الزاد الأدبى اللغوى مما يعينهم على فهم القرآن وتدبر معانيه ، وتفسيره وبيان مراميه .

ومن أجل هذا كنت حريصا على أن أجمع بين يدى القارىء كل ما يتعلق بمعانى الكلمات مستعينا فى ذلك بما جاء فى «معجم ألفاظ

القرآن» إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى جانب ما قاله ابن قتيبة فى غريبه وما نصت عليه معاجم اللغة .

ولقد عزوت الكلمات إلى آياتها ووضحت رقم الآية فى سورتها ، وأشرت إلى الآيات التى جاء فيها اللفظ مكررا ، ورقمت الأسئلة

ولم يفتنى أن أقف عند معنى بيت أو ترجمة شاعر ممن استشهد بشعرهم ابن عباس مما لابد من الإشارة إليه .

وحسبى أننى قدمتها إلى القارىء الكريم فى هذه الصورة التى تحقق له الاستفادة والمتعة . والله من وراء القصد .

محمد إبراهيم سليم

٥ من رمضان ١٤٠٨ هـ
القاهرة فى ٢١ من إبريل ١٩٨٨م

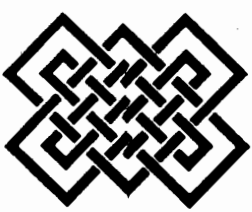

غريب القرآن

أفرده بالتصنيف ـــ كما يقول السيوطى ـــ خلائق كثيرون منهم : أبو عبيدة ، وأبو عمر الزاهد ، وابن دريد

ومن أشهرها كتاب العزيزى ؛ فقد أقام فى تأليفه خمس عشرة سنةً يحرره هو وشيخه ابن الأنبارى .

ومن أحسنها «المفردات» للراغب ، ولأبى حيان فى ذلك تأليف مختصر فى كُرّاسين .

قال ابن الصلاح : وحيث رأيت فى كتب التفسير « قال أهل المعانى » : فالمراد به مصنفو الكتب فى معنى القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الأنبارى . انتهى .

ضرورة الاعتناء به :

ويجب الاعتناء به فقد أخرج البيهقى من حديث أبى هريرة مرفوعا : «**أعْرِبوا القرآن والتمسوا غرائبه**» وأخرج مثله عن عمرو بن عمر بن مسعود موقوفًا .

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعًا «من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات» .

والمراد بإعرابه : معرفة معانى ألفاظه ، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة ، وهو ما يقابل اللحن ؛ لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ، ولا ثواب فيها .

وعلى الخائض فى ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم

الخوض بالظن ، فهؤلاء الصحابة ، وهم العرب العرباء ، وأصحاب اللغة الفصحى ، ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا فى ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئا .

فأخرج أبو عبيد فى الفضائل عن إبراهيم التيمى أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى ﴿**وفاكهة وأبًّا**﴾ فقال : «أىّ سماء تُظِلنى ، وأىُّ أرضٍ تُقِلُّنى إن أنا قلت فى كتاب الله مالا أعلم» .

وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿**وفاكهة وأبًّا**﴾ فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأَبّ ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا لهو الكلف يا عمر !

وأخرج عن طريق مجاهد عن ابن عباس قال :

كنت لا أدرى ما ﴿**فاطر السموات**﴾ حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما : أنا فَطَرْتُها (يريد ابتدأتها) .

وأخرج ابن جريج عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله : ﴿**وحنانا من لَدُنّا**﴾ فقال : سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئا .

وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : والله ما أدرى ما حنانا ؟!

وأخرج الفِريابى حدثنا إسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال : كل القرآن أعلمه إلا أربعا : (**غسلين وحنانا وأوّاه والرقيم**) .

وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة قال : قال ابن عباس : ما كنت أدرى ما قوله : ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**﴾ حتى سمعت قول بنت ذى يزن : «تعال أفاتحك» (تريد : أخاصمك) .

وأخرج عن طريق مجاهد عن ابن عباس قال : ما أدرى ما الغِسْلين ، ولكنى أظنه الزّقوم .

ضرورة معرفة هذا الفن :

قال فى البرهان :

ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة : أسماءً وأفعالا وحروفا .

فالحروف لقلتها تكلم النُّحاةُ على معانيها فيؤخذ ذلك من كتبهم .

وأما الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب اللغة،وأكبرها:كتاب ابن السيد .

ومنها التهذيب للأزهرى .

والمحكم لابن سيده .

والجامع للقزاز .

والصِّحاح للجوهرى .

والبارع للفارابى .

ومجمع البحرين للصاغانى .

ومن الموضوعات فى الأفعال :

كتاب ابن القوطية ، وابن الظريف ، والسَّرَقُسطى . ومن أجمعها كتاب ابن القطاع .

ويقول السيوطى : وأولى ما يرجع إليه فى ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ؛ فإنه ورد عنهم ما يستوعب غريب القرآن .

لقد كان ابن عباس أجدر المشاهير العشرة فى تفسير القرآن بلقب المفسر .

ويقول ابن تيمية : «أعلم الناس بالتفسير أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس»

رضى الله عنه ونفعنا بعلمه .

obeikandl.com

قُطْبَا الحوار

أما أولهما فنافع بن الأزرق (.... ٦٥ هـ) .
وأما الثانى فعبد الله بن عباس .

وقد يكون من المفيد أن نعرف بهما تعريفا موجزا ليتسنى للقارىء معايشتهما فى هذه المحاورة الممتعة :

نافع بن الأزرق الحنفى ــ من أئمة الخوارج وأبطالهم ، كان أمير قومه ، وفقيههم ، وإليه تنسب الأزارقة من فرق الخوارج ، وهم الذين لاقى منهم المهلبُ الأهوالَ قتل يوم «دولاب» على مقربة من الأهواز .

عبد الله بن عباس : (٣ ق هـ ــ ٦٨ هـ) .

حبر الأمة وأبو الخلفاء ، ورث خير صفات أبيه ، وأزْبى عليه فى العلم والفقه والفُتيا والتأويل .

أدناه الرسول ﷺ إليه ، وأضفى عليه عطفا وحَدَبا ، ودعا له قائلا : «اللهّم علمه الحكمة وتأويل القرآن» .

وقد استجيبت دعوته عليه السلام ؛ فكان ابن عباس حكيما فطنا أديبا ذكيا أريباً ، ماله ضريب ولا قريع !

سمعه رجل وهو يخطب فى موسم من مواسم الحج فقال : إنى لأشتهى أن أقبل رأسه من حلاوة كلامه !

ونظر إليه معاوية يتكلم فأتبعه بصره فتمثل قائلا :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل مصيب ولم يثنِ اللسان على هَجْرِ
يصرف بالقول اللسان إذا انتحى وينظر فى أعطافه نظر الصقر

ثم كان مفسراً للقرآن ؛ فكان ملهما موفقا ؛ قال أبو وائل : خطبنا ابن عباس ــ وهو على الموسم ــ فافتتح سورة النور ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت !

قال عطاء : ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ؛ إن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ؛ وأصحاب الشعر عنده ، يُصْدِرون كلهم عن وادٍ واسع !

وقال مسروق : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت : أجملُ الناس ؛ فإذا نطق قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدث قلت : أعلم الناس .

وروى المبرد فى الكامل أن ابن الأزرق أتى ابن عباس ، فجعل يسائله حتى أمَلّه ، فجعل ابن عباس يظهر الضجر ، وطلع عمر بن عبد الله بن ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام ، فسلم فجلس ، فقال له ابن عباس : ألا تنشدنا شيئا من شعرك ؟! فأنشده :

أمِن آل نُعمٍ أنت غادٍ فمبكِرُ غداةَ غدٍ أم رائح فمهجّرُ
بحاجةِ نفسٍ لم تقُلْ فى جوابها فتُبْلِغَ عذراً والمقالةُ تعذِرُ

....

لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير
رأت رجلًا أما إذا الشمسُ عارضت فيضحى وأما بالعشىّ فيخصر

حتى أتمها ثمانين بيتا ، فقال له ابن الأزرق : لله أنت يابن عباس ! أنضرب إليك أكباد الإبل ، نسألك عن الدين فتُعرض ، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفها فتسمعه ! فقال : تالله ما سمعت سفها ؛ فقال ابن الأزرق :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال : ما هكذا قال ؛ إنما قال :

فيضحى وأما بالعشّى فيخصَر[1] .....

قال : أو تحفظ الذى قال ؟

قال : والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ؛ ولو شئت أن أردها لرددتها ؛ قال : فارددها ؛ فأنشده إياها : فقال نافع : ما رأيت أروى منك قط : فقال ابن عباس : ما رأيت أروى من عمر ، ولا أوعى من على .

لقد لازم ابن عباس رسول الله ﷺ وروى عنه الحديث ، وكف بصره فى آخر حياته ، فسكن الطائف فكان يدرس فيها إلى أن توفّى .

وكان فى تدريسه يجعل يوما للغة ، ويوما للتفسير ويوما للمغازى ، ويوما للشعر ، ويوما لأيام العرب ، وكان عمر بن الخطاب إذا أشكلت عليه قضية استشاره وصدر عن رأيه .

وكان معروفا بقوة الحفظ ، وحضور الذهن ، وعليه تخرج طائفة كبيرة من علماء التابعين .

وكان لابن عباس مذهب فى التفسير اشتهر به ، وغلب عليه ، وهو أنه يحتج على غريبه ومشكله بالشعر ، ونقل عنه عن طريق عكرمة أنه قال : «إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر ؛ فإن الشعر ديوان العرب» .

ومن هذا القبيل ما نسبه السيوطى إليه فى الإتقان مما عرف بـ «مسائل نافع بن الأزرق»

بقى أن تعرف أن السيوطى هو العلامة عبد الرحمن جلال الدين

---

(١) يخصر أى يَعْرَق فيبرد .

السيوطى (ــ ٩١١) صاحب التصانيف الكثيرة فى التفسير والحديث ، وله فى مصطلح الحديث ألفية ، وتدريب الراوى .

فتعال ننعم بما نقله السيوطى فى إتقانه عن : « مسائل نافع بن الأزرق »

obeikandl.com